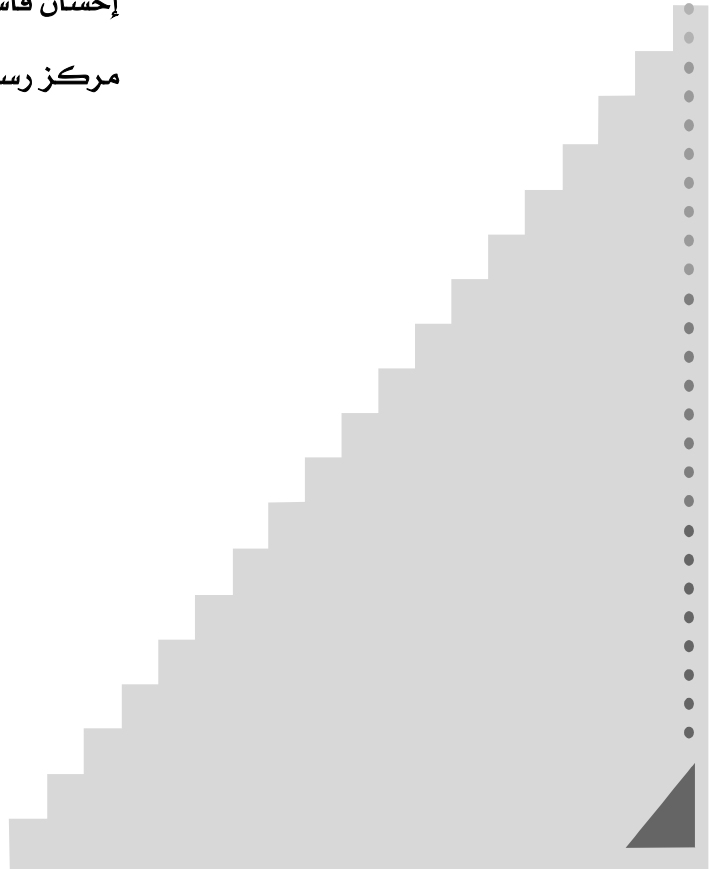


هوامش على ترجمة رسائل النور

إحسان قاسم الصالحي

مركز رسائل النور - استانبول



ما رسائل النور؟

رسائل النور كينونة فكرية روحية متكاملة ، وتفسير قيّم للقرآن الكريم يلائم أفهام هذا العصر، أملاها وكتبها بديع الزمان سعيد النورسي طوال ربع قرن من الزمان في منافيه وسجونه. ثم جمعت في ١٣٠ رسالة. " فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة. حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء."^(١)

ولقد قيّض الله سبحانه الأستاذ النورسي ليؤلّف هذا السفر النفيس، رسائل النور، لتقوم بإنقاذ إيمان شعب كاد الكفر والضلال يجردانه عن القرآن والإيمان. حيث بدأت فيه فؤوس الحقد، ومعاول الهدم تعمل على زلزلة الإيمان وتقويض بنيانه ومسح آثاره من القلوب.

التعرف على رسائل النور:

أحمد الله سبحانه كثيرا على تيسيره لي قراءة كثير من الكتب الإسلامية الفكرية منها أو التراثية، بيد أنني أول ما قرأت رسائل النور انبهرت أمام هذا الأسلوب الشائق الذي يتناول به الآيات الجليلة، أسلوب يقرب الآيات الكريمة المتلوة إلى الأذهان والقلوب بإبراز نظائرها في آفاق الكائنات، فكأنه يفسر القرآن بالقرآن، أي القرآن الموحى بالقرآن المنظور في الآفاق. لذا يستفيد من الرسائل الخواص والعوام كل حسب استعداده وطاقته. بل تجعل قارئها يتعامل مع تجليات الأسماء الحسنى في الأنفس والآفاق، ولا جرم فإن لُحمة رسائل النور وسداها تجليات الأسماء الحسنى ومقاصد القرآن الكريم.

ما الداعي إلى الترجمة؟

عقب المحاضرة التي ألقيتها حول ترجمة رسائل النور في قاعة كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب^(٢) سألتني أحد الطلبة:

"ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود الضخم بترجمة كليات رسائل النور في تسعة مجلدات من اللغة التركية إلى العربية، فإن جميع المصادر الإسلامية هي باللغة العربية و منها تُترجم إلى اللغات الأخرى، فما الذي دفعك بالسير المخالف هذا؟"

وكان جوابي جملة قصيرة:

أخلاق طلاب النور وسلوكهم الإسلامي. وكل من قرأ رسائل النور هو طالب نور، ولا أذكّي على الله أحداً.

نعم، عند لقائي طلاب النور في سنوات السبعينات لمست الإسلام حياً نابضاً ومعيشاً في حلّهم وترحالهم، بل كشفتُ فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرت بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم.

فكيف نالوا هذا القدر الوافر من السلوك القويم والإيمان العميق الذي ينعكس نوره حتى على ملامحهم ناهيك عن أعمالهم وحركاتهم، على الرغم من حرمانهم من اللغة العربية بل حتى من الحروف العربية، بعد ما فعل بهم الهدم والتخريب ما فعل 5. لا شك أن السريكمين في رسائل النور التي يقرأونها ويتدارسونها، ولا شيء غيرها.. فلقد حيل بينهم وبين مصادر الإسلام كافة بتغيير الحروف إلى اللاتينية، بل حيل بينهم وبين القرآن الكريم.. وغدت لهم هذه الرسائل المصدر والمرجع لاستلهاهم حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

مصدر جمالية رسائل النور:

يقول الأستاذ النورسي:

" لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيضٌ أفيض على روحٍ مجروح وقلبٍ مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي".⁽³⁾

و"لو بلغ صوتي أرجاء العالم كافة لكنت أقول بكل ما أوتيتُ من قوة: أن «الكلمات» جميلة رائعة وأنها حقائق وإنما ليست مني وإنما هي شعاعات التمتع من حقائق القرآن الكريم. فلم أُجملُ أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شأنها".⁽⁴⁾

شعرية النص في رسائل النور:

يقول الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ:

"إن النورسي نفس شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف، وبصيرة نفاذة مذاق، وبصر لماح رصّاد لا تفوته بارقة من بوارق الجمال الكوني، ولا تفلت منه سانحة من سوانحه. وطائر عجيب يلقط لآلئ الحسن من فوق جيد الوجود. وظامئ عطش يترشف زلال الجمال من رضاب ثغور الأكوان... إنه شاعري الروح والنفس وجداني الانسياب، رشيق في صورته وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه!"^(٥)

وانطلاقاً من شعرية النص في رسائل النور فقد ألّف الأستاذ الدكتور الشاعر حسن الأمراني كتاباً سماه: "النورسي أديب الإنسانية" أفرد فيه بحثاً كاملاً للمقارنة بين شاعرية النورسي وشاعرية إقبال، مشيراً إلى الكثير من نقاط الالتقاء بين الشاعرين، وإنّ أبرز ما يختلفان فيه هو أنّ "إقبال" شاعرٌ قبل أن يكون مفكراً، أما "النورسي" فهو مفكر قبل أن يكون شاعراً. ثم يعقد في فصل آخر مقارنة بين النورسي وجلال الدين الرومي"^(٦).

ترجمة الرسائل:

ربما لا يعد إطناباً ما ذكرته من شاعرية روح الرسائل ووجدانية انسيابها، ورشاقة صورها وأخيلتها، وعمق أفكارها ودقيق معانيها وسمو مصدرها، وهو القرآن الكريم. ذلك لأنني أريد بهذا التقديم أن أضع أمامكم -أيها الأساتذة الكرام - عظم الأمر الذي استخدمني فيه المولى الكريم. فله الحمد وله المنّة. فلولا عنايته الكريمة ورعايته الشاملة لما كنت أجراً على القيام بترجمة مؤلّف بهذا العلو في الأسلوب والعمق في المعاني، فأنتى لي القدرة على القيام بها وأنا لم أزال الترجمة من قبل ولا باع لي في الأدب ولا في اللغة.

ولكن العجز الذي كنت أشعر به في نفسي والضعف الذي كنت أحسه في قابليتي، أصبحا شفيعين لدى الرحمة الإلهية الواسعة التي التجأت إليها، فما أن توجهت بفضل الله إلى خدمة القرآن الكريم برسائل النور، حتى هبّ المولى الكريم من كل جانب من يمدّ إليّ يد العون، مدّها أخوة أفاضل جزاهم الله عنا خيراً الجزاء. سواء بالتصحيح والتشذيب والإرشاد والتوجيه. فهذا يقوم بتبييض مسودات الترجمة وآخر يخرج أحاديثها الشريفة، وآخر يأخذها إلى من يُشار إليه بالبنان في الأدب أو اللغة لينظر إلى أسلوبها وسلاستها

وآخر يصححها لغوياً.

وهكذا، إذا أراد الله شيئاً هياً له أسبابه، فظهرت الترجمة بفضلته وكرمه، ليست ترجمة حرفية يُقصد بها الأمانة وحدها ولا ترجمة حرة يُقصد بها الإبانة فحسب، بل ترجمة أصيلة خالية من اللكنة الأعجمية وافية للمعني، حتى أثنى عليها الكثيرون ممن يشهد لهم باللغة والأدب قائلين أنها "ترجمة لا يحس معها الإنسان بأن شخصاً ثالثاً يقوم فعلاً بينك وبين النورسي، وهو المترجم"^(٧) والفضل لله أولاً وآخرأ.

٧ - التشرب الروحي

إن الذي لمستته في أثناء الترجمة، أن المترجم مهما كان حاذقاً في فنّه، وورسينا في أسلوبه وثرانيا في مخزونه اللغوي، لا يقدر على إبلاغ المترجم له إلا إذا تشربت روحه وانشرح صدره وقلبه بالمعاني والأفكار التي يقوم بترجمتها. إذ يؤثر هذا التشرب الروحي والانشرح القلبي في القارئ أكثر من تأثير الألفاظ الجميلة والجمل الرنانة.

وهكذا فالالتجاء إلى قدرة الله بالعجز والضعف الإنساني، والتواصل الروحي والقلبي مع المترجم ضرورة من ضرورات الترجمة. أما صياغة الألفاظ والمعاني فهي تأتي مسرعة بقدر ذلك الالتجاء والتواصل المعنوي.

وأختم كلامي بأجدي نصيحة قدمها لي أحد الأخوة قائلًا:

أنك يا أخي تقوم بعمل جليل وهو تفسير للقرآن العظيم يُعرض على الله جل وعلا، فلا تكتب شيئاً من دون وضوء. والتزمت بفضل الله بنصيحته طوال فترة الترجمة التي استغرقت إحدى عشرة سنة من السنين العجاف التي قضيناها في العراق، تلك هي سني الحروب المتتالية.

الحواشي

- (١) الملاحق - ملحق قسطنطيني ص ١٠٥. دار نشر سوزلر - استانبول ١٩٩٥.
- (٢) وذلك في فبراير سنة ١٩٩٨
- (٣) المثوي العربي النوري ص ٣١٨ دار نشر سوزلر - استانبول ١٩٩٤.
- (٤) المكتوبات ص ٤٧٧. دار نشر سوزلر - استانبول ٢٥.
- (٥) المثوي العربي النوري - المدخل ص ٢١. دار نشر سوزلر - استانبول ١٩٩٥.
- (٦) النورسي أديب الإنسانية. المقدمة. دار النيل للطباعة والنشر. القاهرة ٢٠٠٥
- (٧) الدكتور حسن الامراني، في كتابه " النورسي أديب الإنسانية".